

الغزال و دلالاته في حضارة الصين (٢١٠٠ ق.م - ٢٢١ ق.م)

الباحث/مريم حسين عبد عباد
جامعة القادسية - رئاسه الجامعة

م.د. محمد جلاوي شوجة حسين الهلالي

جامعة القادسية _ كلية التربية

mohammed.shojah@qu.edu.iq

تاريخ أستلام البحث : ٢٠٢٦/٩/١٤

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٩/٢٩

المستخلص:

يهتم هذا البحث في رحلة حول ارجاء الصين القديمة ,من حيث المناظر الطبيعية البرية والأجواء الروحانية , إذ ان الغزال لم يكن مجرد طريدة للصيد بل كان رمزاً كبيراً للقوة وطول العمر والثراء . وقد كان يحمل كل معتقد للغزال تصوراً يتجاوز حدود القيمة الجمالية ,اذ كان يعكس الطموحات السياسية والمعتقدات الدينية و الإمبراطورية الشامخة .وقد كانت رؤية مناظر الغزال تعبر عن الكثير من الدلالات ففضلاء عند رؤيتها في الطبيعة والغابة بشكل واقعي والذي كان له تأثير في النفس لما لهذا الحيوان من منظر جميل ودلالات معينة سنأتي على ذكرها في طيات البحث ، اذ كان منظر الغزال مع الخفاش يركز الى الرخاء المطلق .ففي القصور الفخمة والغابات الكثيفة كان النظر الى الغزال يعبر عن الكثير دون الحاجة الى كلمات ,فكان يرسم الغزال الى جانب الخفاش لمعتقد انه يرمز الى الرخاء المطلق ,بينما كان يحكى ان الغزال الأبيض تروي قصصه الى الخلود في الفلسفة الطاوية . حيث إن حق الفرد أو الإمبراطور في صيد الغزال كان يدل على السيادة المطلقة حتى انه يفوق قوة الجيوش التي يقودها .وقد كان الأباطرة القدامى يطاردون الغزال مجازياً(تعود هذه الاستعارة إلى العبارة التاريخية الصينية الكلاسيكية "مطاردة الغزال في السهول الوسطى" (Zhú Lù Zhongyuan)، والتي برزت عند سقوط الإمبراطوريات) في السهول الوسطى للأسعاء في أضفاء الشرعية(العلاقة بين "الغزال" و"إضفاء الشرعية على الحكم" في الصين القديمة ترتكز بشكل أساسي على المفهوم السياسي والديني الأعظم في تاريخ الصين: "تفويض السماء" (Mandate of Heaven))على حكمهم .ولم يعد وجود الغزال في القصور مجرد عنصر زخرفي إذ كان يدل على المكانة الرفيعة ,والحق الإلهي ,والانسجام مع الكون (استند الأباطرة في حكمهم إلى عقيدة سياسية-دينية تُعرف بـ "تفويض السماء" (Mandate of Heaven)، والتي تعني أن السماء تمنح حق الحكم للإمبراطور الصالح وتسحبه من الفاسد.وقد كان الغزال يحمل دلالات تفوق مجرد المكانة الاجتماعية ,حيث كانت القصص والاساطير تنص على ان الرفيق الوحيد لـ "إله طول العمر",ومرشدا قوي

للحكماء نحو الفطر السحري الذي يمنح الخلود. اما دوره في الطب التقليدي، كانت قرون الغزال المخملية تعد من اكثر الكنوز حكراً على النخبة ذات الطبقات العالية، مما جعل هذا الشيء يساهم في تشكيل اقتصاد قوي قائم على الصحة والامتيازات أي تعني (هو اقتصاد بُني على قاعدة: "نحن نبيع أفضل دواء للصحة والشباب، ولكن حصرياً لمن يملك امتياز السلطة والمال"، مما جعل قرون الغزال محركاً أساسياً لتبادل الثروات بين النخب). وفي الخاتمة ، فإن هذه الدراسة لا تقتصر على الحديث حول هذا الحيوان فحسب ، بل هي تتناول أيضاً مدى اسقاط الرغبات البشرية ، من حيث التطلع للثروات وأطالة العمر والهيمنة في السلطة ، بالنسبة للعالم الطبيعي ،حيث انها تنتم بقصة كائن يمتلك الجمال والرشاقة كالغزال ، وان يحمل في طياته بهدوء طموح الحضارة القديمة بأكملها .

الكلمات المفتاحية: الاهتمام في الغزال عند حضارة الصين القديمة، دليل الرمزية السياسية للغزال، إطللة العمر وإزدياد الثروات في الثقافة الصينية.

The Deer and Its Symbolism in Chinese Civilization (2100 BC - 221 BC)

Asst. Prof. Mohammed Jalawi Shojah Hussein Al-Hilali

Maryam Hussein Abed Obada

University of Al-Qadisiyah – College of Education

University of Al-Qadisiyah – University Presidency

mohammed.shojah@qu.edu.iq

Date received: 14/9/2026

Acceptance date: 29/9/2026

Abstract:

This study explores a journey across ancient China, traversing its wild landscapes and spiritual atmosphere. The deer was far more than mere game for the hunt; it was a potent symbol of power, longevity, and wealth. Each belief surrounding the deer transcended mere aesthetic value, reflecting political ambitions, religious convictions, and the grandeur of the empire. Sighting deer—whether in the wild or within forests—carried profound significance. The animal's graceful appearance and the specific symbolic meanings discussed herein deeply resonated with the human spirit; for instance, the pairing of a deer with a bat signified absolute prosperity. In both opulent palaces and dense forests, the mere sight of a deer conveyed volumes without the need for words. Deer were often depicted alongside bats to symbolize boundless prosperity, while Taoist philosophy wove tales of the white deer as an emblem of immortality. Furthermore, the right of an individual—or an emperor—to hunt the deer signified absolute sovereignty, a status that surpassed even the might of the armies they commanded. Ancient emperors metaphorically "chased the deer"—a classical Chinese idiom (*Zhú Lù Zhongyuan*, or "chasing the deer in the Central Plains") that gained prominence during the collapse of dynasties—across the Central Plains to legitimize their rule. The presence of deer in imperial palaces was far more than mere decoration; it symbolized high status, divine right, and cosmic harmony, reflecting the "Mandate of Heaven"—the supreme political-religious concept in Chinese history, which held that Heaven grants the right to rule to a virtuous emperor and withdraws it from a corrupt one. The deer held significance beyond mere social standing; legends depicted it as the sole companion of the "God of Longevity" and a guide leading sages to the magical fungus that bestowed immortality. Regarding its role in traditional medicine, velvet antlers were a treasure reserved for the elite, fueling a robust economy rooted in health and privilege—an economy based on the premise of selling the finest remedy for health and youth exclusively to those possessing power and wealth, thereby making deer antlers a key driver of wealth exchange among the elite.

In conclusion, this study does not limit itself to a discussion of the animal alone; Moreover, it addresses the projection of human desires—such as the craving for wealth, longevity, and the consolidation of power—onto the natural world; it tells the story of a creature possessing the beauty and grace of a gazelle, yet quietly embodying the ambitions of an entire ancient civilization.

Keywords: The significance of the deer in ancient Chinese civilization reflects its political symbolism, as well as its association with longevity and increasing wealth in Chinese culture.

مقدمة

يعد الغزال من أكثر الحيوانات أهمية في الصين القديم ليس فقط لأهميته الحيوانية للصيد او المطاردة ، بل كان وجوده في ثقافة الصين له دلالات دينية وأقتصادية وسياسية ، مما ساهم في عكس طبيعة التفكير للإنسان الصيني القديم وازدهاره وتطلعاته عبر مختلف العصور (Sterckx, 2002; Eberhard, 1986) . . بدأت المراحل الأولى للحياة البشرية للإنسان الصيني القديم تتمثل باستخدام الغزال لكونه مصدر مهم في الكساء والغذاء ، إذ بدأت الحاجة الفعلية لتطويع هذه النظرة بالتدريج مع قيام أولى الاسر الحاكمة والازدهار الفلسفي الطاوي والكونفوشيوسية.

وبمرور الزمن لم يكن الغزال يمثل فائدة مادية فقط ، بل اصبح ذو رمزية للمكانة الاجتماعية والثروات وإطالة العمر ، إذ بدأت الفروق الواضحة في كيفية اهتمام الطبقات الاجتماعية للغزال والتعاطي معه لبالغ أهميته ، وذلك من خلال احتكار رحلات الصيد للنبلاء والأباطرة ، وأيضاً استخدام اجزائه للطبقات الاجتماعية العليا في الطب التقليدي .

وايضاً في البلاط الإمبراطوري أخذ الغزال قيمة فنية ورمزية بالغة الأهمية من حيث المنحوتات والزخارف التي تضع في زينة القصور ، وأيضاً اللوحات الفنية ، والذي أدى الى الاهتمام باللغة البصرية للسيادة .

ان هذا البحث يتمثل في دراسة البدايات الأولى للإنسان الصيني القديم وعلاقته مع الغزال ،وكيفية بدأت مراحل تطوره واكتسابه للرمزية العظيمة وعلاقته بالطبقات الاجتماعية وايضاً السلطة ،وخصائص الظهور في البلاط الإمبراطوري ، وأيضاً بيان الاختلاف من حيث الاستخدامات المادية الغذاء والدواء ، والاستخدام الروحي والذي يعد رمزاً دينياً . وبهذا يكون البحث متمثلاً في إبراز الغزال ودوره المهم في حضارة الصين القديمة والذي لم يكن مجرد كائناً عادياً ، وإنما كان له دور ودلالاته الخاصة في صفاء الصين والقيمة الفلسفية والسياسية عبر مراحل التاريخ.

الظهور البدائي للغزال وأهميته البالغة في الطقوس الصينية (٥٠٠٠ ق.م - ١٠٤٦ ق.م) :

تطورت أهمية الغزال قبل آلاف السنين من الغذاء الى أهميته القدسية في الصين القديم، وايضاً في العصر الحجري الحديث الذي يمتد من حوالي (٥٠٠٠ ق.م - ٣٠٠٠ ق.م)، إذ بدأ الانسان في الصين القديم يعتمد على الصيد في غذائه من اجل البقاء ، وقد شكل الغزال مصدراً مهماً و أساسياً للبروتين والجلود . و أظهرت الحفريات في مواقع ثقافة "يانغشاو" كميات هائلة من عظام الغزلان التي استخدمت لاحقاً في صناعة الإبر والأدوات البسيطة. في هذه المرحلة، كان الغزال يمثل وسيلة بحثة ومهمة للبقاء على قيد الحياة (والتي تعني "البقاء على قيد الحياة" هنا هو أن علاقة الإنسان القديم بالغزال كانت تقتصر على تلبية الاحتياجات البيولوجية الأساسية التي تمنعه من الموت، وذلك قبل أن يكتسب الغزال أي دلالات سياسية أو دينية في العصور اللاحقة).

مع تطور المجتمع الصيني وظهور سلالة شانغ (Shang) (حوالي ١٦٠٠ - ١٠٤٦ ق.م)، اخذ انتقال الغزال من مجرد طريدة إلى عنصر أساسي مهم في الممارسات الروحية والسياسية. و قد بدأ الكهنة والملوك باستخدام عظام أكتاف الغزلان (إلى جانب دروع السلاحف) فيما عُرف بـ "عظام العرافة". (Oracle Bones) " إذ كانت تُحفر الأسئلة الموجهة الى للآلهة والأسلاف على هذه العظام، ثم يتم تُعرضها للنار لتفسير التشققات الناتجة عنها لتفسر على انها إجابات إلهية لتوجيه سياسات الدولة وحروبها (Sterckx, 2002) .

علاوة على ذلك، بدأت تأخذ الغزلان كجزء من القرابين الطقسية الكبرى. في مقابر ملوك شانغ في العاصمة "ين"، تم اكتشاف بقايا مئات الغزلان التي قُدمت كأضاحٍ لضمان حماية الأسلاف للملك المتوفى وتأمين احتياجاته في الحياة الآخرة. و هكذا، بدأت تتشكل أولى الخطوات التي نقلت الغزال من السهول البرية إلى المذابح المقدسة، ليصبح وسيطاً بين عالم البشر وعالم الأرواح.

مراحل تطور الرمزية السياسية والثقافية للغزال (١٠٤٦ ق.م - ٢٠٦ ق.م):

في الصين القديمة، بدأت رمزية الغزال بالتطور تدريجياً من مرحلة طقسية دينية إلى استعارة سياسية ولغوية متقنة تجمع بين السلطة والأدب.

خلال عهد أسرة تشو (Zhou) (١٠٤٦ - ٢٥٦ ق.م)، تم تدوين "كتاب الأغاني" (Shijing) ، وهو

أقدم مجموعة شعرية صينية. ذُكر الغزال في هذه القصائد كرمز للانسجام الطبيعي وكرم الضيافة.

وتعد قصيدة "صوت الغزال" من أشهر القصائد التي تبين تنادي الغزلان مع بعضها في الحقول ، وتم استخدام هذه القصيدة كأغنية رسمية تعزف في المآدب الملكية والتي توصف للترحيب بالضيوف والمسؤولين ، مما جعلهم يربطون أهمية الغزال بآداب السلوك الملكي.(Li)

ومع بداية حقبة الممالك المتحاربة وسلالة تشين (٤٧٥ - ٢٠٦ ق.م)، حيث تطورت رمزية الغزال لتأخذ طابع سياسي عنيف . حيث بدأ ظهور العبارة التاريخية الشهيرة "مطاردة الغزال في السهول الوسطى. ومن خلاله أصبح إستعارة الغزال سياق واضح وصريح للعرش الإمبراطوري والسلطة العليا (Lewis, 1990) . وكان النظر الى الإمبراطورية على انها تمثل غزال ضخم فقدته سلالة تشين الحاكمة ، فبدأت تتسابق الجيوش والأمراء في الحرب لأصطياده ، حيث كان يتمثل اصطياد الغزال لمن يصطاده يصبح إمبراطوراً للصين. وبالتعاقب مع ذلك بدأ التطور اللغوي يلعب دوراً مهماً فكلمة "غزال" بالصينية تُنطق "لو" ، وهي توازي تماماً النطق مع كلمة "لو" و التي تعني "الراتب الحكومي" أو الثروة والمكانة. وهذا التمايز اللفظي جعل من الغزال أيقونة للثروة والنجاح الوظيفي، وهو تطور سوف يستمر في التأثير على الفنون والثقافة الصينية لآلاف السنين (Eberhard, 1986).

ظهور الطبقات الاجتماعية و مدى علاقتها بصيد الغزال واستخداماته (٢٠٦ ق.م - ٩٠٧ م):

بدأت الإمبراطوريات الكبرى تترسخ من خلال أسر هان وتانغ (٢٠٦ ق.م - ٩٠٧ م)، حيث بدأ انعكاس التعامل مع الغزال على التدرج الطبقي في المجتمع الصيني يظهر بوضوح تام.

١- في مجال الصيد: لم يعد صيد الغزلان متاحاً للعامة. خصص الأباطرة والنبلاء مساحات شاسعة من الغابات كـ "محميات صيد ملكية" محرمة على الفلاحين. كانت رحلات الصيد هذه تعتبر تدريباً عسكرياً واستعراضاً للقوة والفروسية. كان الإمبراطور وكبار قادة الجيش هم من يمتلكون الأحقية الحصرية في صيد الغزلان الكبيرة، مما جعل صيد الغزال حكراً على الطبقة الأرستقراطية (Schafer, 1963) .

٢- في مجال الطب والاستهلاك: خلال سلالة هان (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ م)، تم تدوين خصائص قرون الغزال المخملية (Lu Rong) في أقدم المراجع الطبية الصينية "شينونغ بينكاو جينغ". أُعتبرت هذه القرون من أندر وأغلى الأدوية المقوية التي تزيد من طاقة "اليانغ" وتطيل العمر. وبسبب تكلفتها الباهظة، كان استهلاكها

مقتصراً حصرياً على العائلة الإمبراطورية والنبلاء الأثرياء، بينما اعتمد الفلاحون والعامّة على الأعشاب البسيطة.

استخدام الغزال في المعتقدات الطاوية:

بدأ يرتبط الغزال بالطبقة المثقفة والكهنة حيث آمن الطاويون أن الغزال الذي يعيش لألف عام يتحول إلى اللون الأبيض، وأصبح الغزال الأبيض يمثل الخلود والنقاء الروحي. كان يُرسم كرفيق دائم لـ "إله طول العمر" (Shou Xing)، حيث يُعتقد أنه قادر على شم العشب المقدس الذي يهب الخلود (Kohn, 2001) ومنها بدأ يصبح الغزال بالنسبة للطبقات العليا رمزاً للتميز المادي، وبالنسبة للمتقنين رمزاً للسمو الروحي.

الفلسفة الوجودية: الغزال وتجسيد التلقائية المطلقة (Ziran)

تقوم الطاوية على مبدأ "تزيران" (Ziran)، والذي يُترجم غالباً إلى "التلقائية" أو "ما هو كائن بذاته". في هذا الإطار، حيث يُعتبر الغزال التجسيد الحي لمفهوم "تزيران" ومفهوم "وو-وي" (Wu-Wei)، أي "اللا-فعل" أو العمل من دون جهد مفتعل.

الانسجام دون تدخل: لا يسعى الغزال لتغيير بيئته، ولا يخزن طعاماً بدافع الجشع، ولا يفتعل صراعات للسيطرة على مناطق النفوذ كما تفعل الحيوانات المفترسة. لأن الغزال يعيش للحظة الحالية، يقاتل على ما تقدمه الطبيعة، ويتحرك بانسجام تام مع تعاقب الفصول.

الفراغ الروحي: اعتبر الحكماء الطاويون أن فراغ ذهن الغزال من الرغبات المعقدة هو ما يسمح لطاقة الكون (التشي) بالتدفق عبره دون عوائق، مما يجعله نموذجاً للمتصوف الطاوي الذي يجب عليه إفراغ عقله من الأطماع الدنيوية والمفاهيم المجتمعية المصطنعة للوصول إلى التنوير.

مميزات الغزال في فنون البلاط الإمبراطوري (٩٦٠ م - ١٩١٢ م):

في البلاط الإمبراطوري لأسرات سونغ، مينغ، وتشينغ (٩٦٠ - ١٩١٢ م)، وصل توظيف الغزال كعنصر فني وزخرفي إلى ذروته. لم تكن صور الغزال مجرد زينة، بل كانت رسائل سياسية واجتماعية تعبر عن الاستقرار، الثروة، والشرعية الإمبراطورية.

أن أول ما يلاحظ في هذه الحقبة هو إزدياد انتشار أسطورة "البركات الثلاث" في أعمال البلاط الفنية: السعادة (يمثلها الخفاش)، طول العمر (يمثله الخوخ)، والثروة أو الراتب (يمثلها الغزال). صُممت الملابس الإمبراطورية للمسؤولين الحكوميين، وخاصة الأقمشة الحريرية، بزخارف دقيقة تجمع هذه الرموز لتأكيد المكانة العالية التي منحهم إياها الإمبراطور.

في عهد سلالة تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١٢ م)، ظهرت المزهرات الخزفية الإمبراطورية العظيمة المعروفة بـ "مئة غزال" (Bai Lu Tu) حيث كانت هذه التحف تُصنع خصيصاً للإمبراطور "تشيان لونغ"، وتصور مئة غزال ترعى بسلام في غابات جبلية صممت هذه اللوحات لترمز إلى أن الإمبراطورية تعيش في سلام دائم وازدهار لا ينضب، وأن السلطة الإمبراطورية ترعى رعاياها كما ترعى الطبيعة غزلانها (Michaelson, 1999).

بالإضافة إلى ذلك، أعاد أباطرة المانشو (سلالة تشينغ) إحياء تقاليد صيد الغزلان الخريفية في منطقة "مُولان" (Mulan Autumn Hunt) كانت هذه الرحلة السنوية تعتبر حدثاً سياسياً بامتياز، تُنصب فيه الخيام الإمبراطورية الضخمة، ويُدعى إليها زعماء القبائل المجاورة لمشاهدة مهارة الإمبراطور في صيد الغزلان، كرسالة غير مباشرة عن قوة الجيش الإمبراطوري واستعداده لسحق أي تمرد.

الفرق بين الاستخدام المادي والروحي للغزال في الصين القديمة (طوال العصور) :

كانت العلاقة بين الإنسان الصيني والغزال تحمل ازدواجية واضحة بين الجسد (المادة) والروح (الرمز).
الاستخدام المادي (الواقعي):

- اللحوم والجلود: كانت لحوم الغزلان تُقدم في الولائم الإمبراطورية كطعام فاخر، واستخدمت جلودها في صناعة الملابس الشتوية الدافئة للنبلاء، وحتى في تبطين بعض الدروع الخفيفة.
- الطب التقليدي: شكلت قرون الغزال (خاصة المخملية) العمود الفقري لطب الطبقة المخملية، حيث كانت تُسنزف ثروات هائلة لجمعها من البرية أو عبر التجارة الخارجية لمعالجة الضعف الجسدي والعقم (Unschuld, 1986).

الاستخدام الروحي (الرمزي):

- الخلود والطاوية: على النقيض من ذبجه، كان الغزال حياً يمثل أقصى درجات النقاء، رفيق الخالدين والباحثين عن التنوير في أعماق الجبال.
 - الثروة والسياسة: من خلال اسمه (Lu)، بدأ يأخذ الغزال كأمنية تُهدى عبر اللوحات والتمائيل المصنوعة من حجر اليشم (Jade)، متجاوزاً قيمته البيولوجية ليصبح فكرة مجردة تعني "النجاح".
- باختصار، و يمكن القول إن الاستخدام المادي للغزال كان تعبيراً عن الهيمنة البشرية وقوة الثروة في تطويع الطبيعة، بينما كان الاستخدام الروحي تعبيراً عن التبجيل، الخوف من الموت، والرغبة في الاندماج مع الكون. كلاهما يعكس القيم الثقافية والفلسفية في الصين القديمة ويظهر مدى براعة الحضارة الصينية في تحميل عناصر الطبيعة البسيطة دلالات معقدة.

الغزال في الطقوس الدينية وعرافة البلاط (١٦٠٠ ق.م - ١٠٤٦ ق.م)

• الغزال في نصوص عظام العرافة

مع بزوغ سلالة شانغ (Shang)، التي مثلت أول دولة صينية موثقة تاريخياً، بدأ دخول الغزال بقوة في النظام العقائدي الرسمي. حيث اعتمد ملوك شانغ على العرافة لاستشارة أسلافهم والآلهة حول شؤون الحرب، الزراعة، والصيد. وقد تم استخدام أكتاف الغزال (Scapulimancy) إلى جانب دروع السلاحف كلوحات لكتابة الأسئلة. يعد الرمز الصيني القديم (Pictogram) لكلمة غزال قد صُمم خصيصاً في هذه العظام ليصبح حيواناً بعينين واسعتين وقرون متفرعة، مما يدل على مكانته البارزة في المعجم اللغوي المبكر.

• الأضاحي الملكية والقربان الدموية

في عاصمة سلالة شانغ "ينيينغ" (Anyang)، اكتشف علماء الآثار خنادق طقسية ضخمة (Sacrificial pits) تحتوي على مئات الهياكل العظمية للغزال المقطوعة الرأس. وقد كان يُعتقد أن أرواح الأسلاف تتغذى على دماء ولحوم هذه الكائنات النقية. و إن حجم الأضاحي من الغزال كان يعكس قوة الملك؛ فتقديم مئة غزال في طقس واحد كان استعراضاً للثروة المطلقة والسيطرة التامة على البرية، ورسالة سياسية للقبائل المجاورة حول جبروت بلاط شانغ.

الغزال في الفلسفة الكونفوشيوسية وطقوس أسرة تشو (١٠٤٦ ق.م - ٢٥٦ ق.م)

شكلت أسرة تشو (١٠٤٦ - ٢٥٦ ق.م) منعطفاً حاسماً في تاريخ الحضارة الصينية، حيث ابتعدت عن ممارسات التضحيات الدموية الجماعية التي ميزت أسرة شانغ السابقة، لتؤسس نظاماً سياسياً واجتماعياً يعتمد على "الطقوس (Li) والأخلاق"، وهو النظام الذي نظّر له كونفوشيوس لاحقاً واعتبره ذروة التحضر الإنساني. وبعد هذه السياقات الفلسفية والطقوسية الأكثر تعقيداً، لم يكن الغزال مجرد قربان يتم ذبحه على مذابح الأسلاف، بل كان يرتقي به ليصبح ذو إستعارة أخلاقية أكثر عمقاً تعكس من خلالها التناغم الكوني والاجتماعي. حيث تداخلت الطبيعة الفطرية للغزال بالسلام الداخلي ونفوره من العنف، مع ان المفهوم الكونفوشيوسي لـ "الرجل النبيل (Junzi)"، الذي يسعى إلى الانسجام و رفضه للتصادم.

وبدأ يأخذ هذا التوظيف الفلسفي بأجمل صوره في "كتاب الأغاني (Shijing)"، وهو من اقدم المجموعات الشعرية الصينية القديمة وأحدى الكلاسيكيات الخمسة والتي أعدها كونفوشيوس أساساً مهماً للتربية الأخلاقية.

ففي هذه الرحلة الخالدة، والتي تبين أهمية قصيدة "صياح الغزال (Lu Ming)" والتي تمثل أعظم دور أدبي وسياسي للغزال في تلك الفترة. حيث تصف هذه القصيدة إن قطيعاً من الغزلان كان يرعى في البرية وحين عثر أحدها على مرعى غني بأعشاب الكرفس أو الشيح، فإنه لا ينفرد بالطعام لنفسه، بل يبدي يطلق صياحاً بأبتهاج لكي يدعو بقية القطيع للمشاركة هذه الوليمة الطبيعية. أما فيما يتعلق بالعلماء الكونفوشيوسيين حيث لم يكن مجرد منظر و وصف رعي، بل كان يمثل إستعارة سياسية كاملة تمثل الحاكم الصالح والملك العادل. ووفقاً لهذا المنظور فإن الملك الفاضل هو الذي لا يحتكر ثروات الإمبراطورية، بل يتقاسمها بسخاء مع كل من وزرائه ورعاياه، مما يؤدي الى خلق بيئة من التعاون والولاء المتبادل والمحبة الخالصة و التي تضمن استقرار الدولة. وبسبب أهمية هذه الدلالات الأخلاقية العميقة، تحولت قصيدة "صياح الغزال" من نص أدبي الى جزء مهم لا يتجزأ من بروتوكولات الدولة الرسمية. حيث كانت أهمية هذه القصيدة تتشد وتعزف على آلات العود والأجراس البرونزية في المآدب الملكية الكبرى والتي يقيمها كل من أباطرة تشو لأستقبال المبعوثين من الدبلوماسيين وكبار المسؤولين. وعند عزفها كان الحاكم يأخذ دور شخصية الغزال الكريم، والتي تبين للمسؤولين رسالة الغاية منها السلام وحسن النوايا، وايضاً الرغبة في تقاسم الرخاء، ومنها اصيحت الدبلوماسية

الكونفوشيوسية تعتمد على التهذيب الثقافي و الشعري بدلاً من استعراض القوة العسكرية، وأعد الغزال آنذاك هو السفير الرمزي لهذه الفلسفة.

وايضاً على الصعيد المادي والطقوسي، حيث تم دمج أجزاء من الغزال في القوانين الصارمة التي حكمت الأزياء الإمبراطورية.

و يفصل "كتاب الطقوس (Liji) "أنواع من الملابس المسموح بها لكل طبقة، وتبرز هنا "قبعة جلد الغزال" و المعروفة باسم "بي بيان (Pi Bian) " حيث كانت هذه القبعة تُصنع بعناية فائقة من قطع مختارة من جلود الغزالان البيضاء، ويتم إرتدائها من قبل الإمبراطور وكبار رجال الدولة في أثناء الجلسات الصباحية والمحادثات الرسمية، وبعض من الطقوس الجنائزية. لن يتم اختيار جلد الغزال عشوائياً، بل كان يهدف إلى ربط الحكام المعاصرين ببساطة ونقاء منهم الملوك الأسلاف الأسطوريين. حيث كانت القبعة تعني تذكير مادي دائم بضرورة التحلي بالتواضع، النقاء، والالتزام الصارم بـ "الطقوس (Li) "، حيث كانت تعمل كقيد أخلاقي يؤدي الى منع الحاكم من الانزلاق نحو الاستبداد أو البذخ.

وايضاً إلى جانب الأزياء، حيث بدأت تشكيل جلود الغزالان عملة دبلوماسية رفيعة المستوى في عصر تشردم السلطة خلال فترة الربيع والخريف (التابعة لعهد تشو). حيث كان الأمراء الإقطاعيون يتبادلون حزم جلود الغزالان المدبوغة والمزينة كعربون للمواثيق، والتحالفات، ومعاهدات السلام.و إن تقديم هذا الجلد كان يمثل عهداً ملزماً بالشرف، وثُرافق عملية التقديم هذه حركات محسوبة من الانحناء والاحترام التي تجسد الاعتقاد الكونفوشيوسي بأن النظام العالمي لا يستقيم إلا باحترام التسلسل الهرمي والعلاقات المتبادلة.

وبالتالي قد انعكست الفلسفة الكونفوشيوسية أيضاً على قواعد صيد الغزالان ذاتها، مؤسسة لما يمكن اعتباره أخلاقيات بيئية مبكرة. فبالرغم من أن الصيد كان امتيازاً ملكياً وتدريباً عسكرياً، إلا أن "كتاب الطقوس" فرض قيوداً صارمة تمنع صيد الغزالان في مواسم التزاوج الربيعية، وحرّم أيضاً بشكل قاطع قتل الإناث الحوامل أو الصغار. وكان هذا التنظيم الصارم يتماشى مع تعاليم كونفوشيوس التي تدعو إلى الاعتدال والرحمة حتى في استهلاك الطبيعة، حيث يصطاد الحاكم النبيل لتوفير لحوم القرابين لمذابح الأسلاف وتوزيع الفائض على أتباعه، مع ضمان استمرار القطيع. بهذا التكامل الشامل بين الشعر، السياسة، الدبلوماسية، والأخلاق البيئية، قد استحال الغزال في عهد أسرة تشو من كائن بري إلى أيقونة كونفوشيوسية تمشي على أربع، تجسد رؤية حضارية تسعى لضبط اندفاعات البشر وتوجيهها نحو عالم من التناغم الكوني والسمو الأخلاقي.

رمزية الغزال في الأدب الطاوي المبكر: في فلسفة حلم "تشوانغ زي"

يتمثل نص الفيلسوف الطاوي البارز "تشوانغ زي" (Zhuangzi)، والذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، من إحدى أعماق الركائز الأدبية والفلسفية في التراث الصيني القديم، حيث وظف الغزال في حكاياته الرمزية لتفكيك بعض مفاهيم الواقع والملكية والوهم (Watson, 1968, p. 138). حيث تتجلى هذه الفلسفة بأجمل صورها في قصة "حلم الحطاب والغزال"، وهي حكاية معقدة تتلاعب بالحدود الفاصلة بين اليقظة والنام، ويتم استخدام جسد الغزال كأداة لتشريح الهوس البشري بالماديات واليقينيات الزائفة (Ziporyn, 2009, p. 73). وتبدأ القصة حين يتمكن حطاب فقير من اصطياد غزال بري، وبدافع الخوف الشديد من أن يُسرق صيده الثمين، حيث يقوم بإخفائه بعناية في حفرة وتغطيته بأوراق الموز وأغصان الشجر (Graham, 1981, p. 102).

لكن، وفي غمرة فرحه وانشغاله، ينسى الحطاب المكان الدقيق الذي خبأ فيه الغزال، وبعد بحث يائس، يقنع نفسه بأن الأمر برمته لم يكن سوى حلم عابر، ويبدأ في سرد تفاصيل "حلمه" بصوت عالٍ وهو في طريق عودته إلى قريته (Kohn, 2014, p. 55). في تلك الأثناء، يسمع رجل عابر تمتمة الحطاب وتفاصيل مسار الحلم، فيتبع الوصف الدقيق ويتمكن بالفعل من العثور على الغزال الميت ويأخذه إلى منزله (Watson, 1968, p. 138).

و بعد ان يعود الرجل إلى زوجته، يروي إليها مبتهجاً كيفية حصوله على غزال حقيقي استناداً إلى حلم شخص غريب، لتجيبه الزوجة بشك فلسفي عميق متسائلة عما إذا كان الحطاب موجوداً من الأساس، أم أن زوجها هو من كان يحلم الآن بأنه التقى حطاباً يحلم بغزال (Moeller, 2004, p. 48).

ففي هذه المرحلة من النص، يبدأ يتصاعد العبث الفلسفي حين يدرك الحطاب الحقيقي أنه لم يكن يحلم، فيتمكن من تعقب الرجل ويرفع دعوى قضائية ضده لكي يسترد منه الغزال (Ziporyn, 2009, p. 73). حينها يقف القاضي أمام هذه المعضلة عاجزاً عن التمييز بين الواقع المتعين والوهم المتخيل؛ فالحطاب يدعي أن الحلم حقيقة، والرجل يؤكد أن الحقيقة قد نبعت من حلم، والزوجة بدورها تشكك في وجود الجميع (Mair, 1994, p. 112).

في النهاية، فأن القاضي يصدر حكماً بتقسيم الغزال إلى نصفين بين الرجلين، وحين تصل تفاصيل هذه المحاكمة الغريبة إلى حاكم الولاية، يتساءل الأخير بذهول عما إذا كان هو شخصياً يعيش حلماً يرى فيه قاضياً

يقسم غزالاً بين رجلين (Wu, 1990, p. 89). من خلال هذه البنية السردية المتداخلة، لا يقدم "تشوانغ زي" مجرد قصة طريفة، بل أيضاً يطرح تساؤلاً أنطولوجياً صارماً حول طبيعة الوجود الإنساني، معتبراً أن التعلق بالأشياء المادية، والذي يمثله الغزال في هذا النص، هو جوهر المعاناة البشرية (Graham, 1981, p. 102).

فأن الغزال هنا ليس كائناً بيولوجياً، بل هو استعارة للحقيقة المتغيرة والملكية الزائفة؛ فكل من الحطاب والرجل العابر كان يعتقدان أنهما يمتلكان الغزال، لكنهما في الواقع كانا أسيرين لوهم الامتلاك في عالم محكوم بالتحول المستمر للأشياء (Kohn, 2014, p. 55). حيث تؤكد الفلسفة الطاوية عبر هذه الحكاية أن العقل البشري يميل إلى خلق حدود صارمة بين المفاهيم كالحق والباطل، الواقع والحلم، المكسب والخسارة، بينما في منظور "الطاو" المطلق، حيث تتلاشى هذه الثنائيات وتكون مجرد حالات عابرة من الوعي والإدراك الناقص (Ivanhoe & Van Norden, 2005, p. 231). و إن الغزال المخفي تحت أوراق الموز يمثل الجوهر الماروغ للحياة ذاتها؛ فبمجرد أن نطن أننا أمسكنا بها وفهمنا أسرارها، تتسرب من بين أيدينا تاركة إيانا في حيرة وريب أمام هشاشة حواسنا (Moeller, 2004, p. 48).

و يهدف "تشوانغ زي" من هذا الطرح إلى غاية تحرير الإنسان من ثقل الوعي الذاتي المفرط ومن وهم السيطرة على مجريات الأحداث، فأن الحطاب خسر سلامه الداخلي عندما بقي مُصرّاً بفكرة امتلاك الغزال، واستعاده فقط عندما اقتنع أنه كان حلاًماً، ثم عاد بعدها للشقاء حين قرر مطاردة الحقيقة في أروقة المحاكم (Mair, 1994, p. 112). و هكذا، يدعو النص إلى التخلي عن اليقين المادي المتصلب، وتبني حالة من المرونة الذهنية والتسليم التلقائي لما هو كائن (Ziran)، مدركين أن الحياة بأكملها، بكل ما فيها من صراعات ومكاسب كالغزال الثمين، و قد لا تعد كونها حلاًماً طويلاً متداخلاً، نستيقظ منه فقط عند لحظة الموت العظيم والاندماج النهائي مع مسار الكون الواسع (Ivanhoe & Van Norden, 2005, p. 231).

الغزال وأهميته الرمزية في الطقوس، التمايم (Fu) ، وأدوات العبادة:

أخذ الغزال دوراً محورياً مهماً في الممارسات الطقسية وأدوات العبادة في الصين القديمة، متجاوزاً قيمته المادية ليصبح وسيطاً روحياً فعالاً بين البشر والعوالم العلوية. ويتجلى هذا الحضور في عدة ممارسات دينية وفكرية، إبتدأ من طقوس العرافة المبكرة و وصولاً إلى كتابة التمايم السحرية.

• استخدام عظام أكتاف الغزلان وطقوس العرافة

في عهد أسرة شانغ، تم الاعتماد عند الكهنة بشكل أساسي على استخدام عظام أكتاف الغزلان في طقوس العرافة الملكية. حيث كانت هذه الطقوس تهدف إلى استشارة الآلهة وأرواح الأسلاف حول قضايا حيوية مثل مواسم الحصاد، وشن الحروب، وتفسير الظواهر الطبيعية.

حيث كان الكاهن يقوم بتنظيف عظم كتف الغزال، ثم يتم حفر الأسئلة عليه المراد توجيهها للعالم الروحي. ثم بعد ذلك، يتم تعرض العظام للكي بواسطة قضبان برونزية شديدة الحرارة حتى تتشقق. وكانت مسارات هذه التشققات وأشكالها تُقرأ وتُفسر على اعتبارها إجابات إلهية، مما جعل عظم الغزال بمثابة اللوح المقدس الذي تُكتب عليه إرادة السماء.

• أهمية التمام الطاوية (Fu) وفرشاة شعر الغزال الأبيض ودورها المهم في الصين القديم

في الممارسات الطاوية، بدأ الغزال يأخذ مكانة خاصة في صناعة التمام والطلاسم السحرية (Fu) و التي تُستخدم لطرد الأرواح الشريرة، و جلب البركة، أو الشفاء من الأمراض. و لكي يتم ضمان الفعالية الروحية لهذه الطلاسم، كان الكهنة الطاويون يحرصون على كتابة هذه الطلاسم باستخدام فرشاة رسم تصنع خصيصاً من شعر الغزال الأبيض. و كان يُعتقد أن الغزال الأبيض يمتلك طاقة "تشي (Qi)" نقية ومقدسة، وأن هذه الطاقة تنتقل عبر شعره إلى الحبر الورقي، مما قد يمنح الطلاسم قوة كونية مضاعفة. لم تكن عملية الكتابة مجرد خط فقط، بل كانت طقساً يتنفس فيه الكاهن طاقة الطبيعة ويفرغها عبر الفرشاة المقدسة.

• أودية الشامان ورقصات التواصل الروحي "الكساء الطقسي والرقص الإيمائي"

قبل أن تتبلور فكرة الطاوية المؤسسية، بدأ اعتماد المجتمعات الصينية القديمة على الشامانية للتواصل مع قوى الطبيعة. في هذه الطقوس، حيث كان الشامان يرتدون جلود الغزلان ويضعون قرونها على رأسهم أثناء أداء رقصات إيقاعية عنيفة تُعرف بـ "خطوات النجوم".

كان الغرض من ارتداء أجزاء الغزال هو التماهي الكامل مع روح الحيوان واستعارة خفته للقيام برحلات روحية خارج الجسد. اعتقد الشامان أن قرون الغزال تعمل كقرون استشعار روحية تلتقط رسائل الآلهة وتسهل عبور روحه بين عالمي الأحياء والأموات لاسترداد الأرواح أو جلب النبوءات.

• تمائم اليشم الجنائزية كأدوات عبور

في سياق الطقوس الجنائزية، تم استخدام أشكال الغزال كأدوات عبادة دائمة ترافق الموتى. عُثر في المقابر الملكية القديمة على تمائم من حجر اليشم (Jade) منحوتة بدقة على شكل غزلان رابضة. كان حجر اليشم يُعتبر حجراً مقدساً يمنع تحلل الجسد ويحفظ الروح، ودمجه مع شكل الغزال كان يهدف إلى تزويد روح المتوفى بالطاقة اللازمة للعبور بسلام إلى العالم الآخر. كانت هذه التمائم توضع على صدر المتوفى أو تُعلق في التابوت كأداة طقسية تضمن استمرار رفايته وارتباطه بالآلهة في حياة ما بعد الموت.

قرون الغزال المخملية - (Lu Rong) ذهب الطب الصيني:

تُعتبر قرون الغزال المخملية، المعروفة في الصينية باسم "لو رونغ" (Lu Rong)، واحدة من أثنى وأندر المواد في تاريخ الطب الصيني التقليدي، لدرجة أنها لُقبت بـ "ذهب الطب الصيني" نظراً لقيمتها العلاجية والاقتصادية الهائلة.

وقد كان يُقصد بالقرون المخملية هي تلك القرون الشابة غير المتكلسة (الغضروفية) و التي تنمو لذكور الغزلان، وتحديدًا غزال السيكّا أو الغزال الأحمر، والتي تكوم مغطاة بطبقة من الجلد المخملي الناعم وتكون أيضاً غنية جداً بالأوعية الدموية والأعصاب الخلوية النشطة. و في الفلسفة الطبية الصينية، حيث كان النمو السريع والمذهل لهذه القرون يكون في فصل الربيع (حيث تنمو بمعدل يصل إلى ٢ سم يومياً) يُفسر على أنه تجسيد استثنائي ومكثف لطاقة "اليانغ" (Yang) "الذكورية، الحارة، والمنشطة، مما قد يجعلها المادة الأقوى لتعويض النقص الحاد في حيوية الجسد. و يعود التوثيق الطبي الأول والدقيق لـ "لو رونغ" إلى أواخر سلالة هان، وتحديدًا في عام ٢٠٠ ميلادية تقريباً، حين تم تدوينها في أقدم دستور للأدوية الصينية "شينونغ بينكاو جينغ". (Shennong Bencao Jing) " و في هذا المرجع التاريخي المبكر، حيث صُنفت القرون المخملية ضمن فئة الأدوية "العليا"، وهي الفئة المخصصة للمواد التي تُطيل العمر، وتقوي الهيكل العظمي، وتعالج أيضاً الإرهاق الشديد والعجز من دون أن تترك آثاراً سميّة حتى مع الاستخدام الطويل الأمد. و مع تطور العلوم الطبية في الصين، فقد بلغ الفهم الدقيق لآلية عمل "لو رونغ" ذروته في عهد سلالة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م). ففي عام ١٥٩٦ م، نشر الطبيب والصيدلاني الأعظم في تاريخ الصين "لي شيتشين" (Li Shizhen) " موسوعته الطبية الخالدة "بينكاو غانغمو". (Bencao Gangmu) "في هذه الموسوعة، قدم لي شيتشين شرحاً

تشريحياً ودوائياً بالغ الدقة للقرون، مؤكداً أنها لا تعمل كمنشط مؤقت، بل تستهدف الجذور العميقة للصحة عبر "تغذية خطوط طاقة الكلى، وتوليد النخاع الشوكي، وتنشيط إنتاج الدم الطازج". وأوضح أن فاعلية القرون تعتمد بشكل حاسم وجذري على توقيت حصادها؛ إذ يجب قطعها في نافذة زمنية ضيقة جداً تتراوح بين ٤٥ إلى ٦٠ يوماً من بدء نموها (غالباً بين شهري أيار وحزيران من كل عام). إذا تأخر الحصاد وتصلبت القرون بتأثير الكالسيوم، تتحول إلى ما يُعرف بـ "لو جياو" (Lu Jiao)، وتفقد أكثر من ٧٠٪ من قيمتها العلاجية وجوهرها الدموي وتصبح مجرد مادة صلبة منخفضة القيمة.

من الناحية الاقتصادية والسياسية، تحولت هذه القرون إلى سلعة استراتيجية توازي الذهب، بل وتفوقه قيمة في بعض الفترات التاريخية. ففي عهد سلالة تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١٢ م)، وتحديدًا في عام ١٦٨١ م عندما أسس الإمبراطور "كانغ شي" محميات الصيد الملكية الشاسعة في "مولان" شمال سور الصين، فرض البلاط الإمبراطوري احتكاراً صارماً على أفضل أنواع الغزلان المنتجة للقرون. أصبحت قرون "لو رونغ" عالية الجودة جزءاً من الخزينة الإمبراطورية المباشرة، وتُقدم كـ "جزية" (Tribute) "سنوية إجبارية من المقاطعات الشمالية لسداد الضرائب. كانت هذه القرون تُعالج طبياً عبر تقطيعها إلى شرائح رقيقة جداً كالورق الشفاف، وتُثقع في الكحول الطبي أو تُغلى ببطء في حساء الأعشاب لتقديمها حصرياً للأباطرة وكبار القادة العسكريين لتعزيز طاقتهم الجسدية والجنسية. هذا الاحتكار الإمبراطوري، مقترناً بصعوبة الحصول عليها من البرية القاسية ومخاطر اصطياد الغزلان في المنحدرات الجبلية، جعل من "لو رونغ" رمزاً للثراء الفاحش، ومادة طبية لا تجرؤ على شرائها سوى النخب الأرستقراطية، لُترسخ بذلك مكانتها كـ "ذهب" حقيقي يشترى الصحة والشباب وطول العمر في تاريخ الإمبراطورية الصينية.

الخاتمة:

يتمثل دور الغزال في الحضارة الصينية القديمة ظاهرة ثقافية وتاريخية ودينية بالغة التعقيد، تتجاوز فيها كل أطر البيولوجية للحيوان البري و تتحول الى مرآة تعكس أعماق الرؤى لدى الإنسان الصيني وفلسفاته عبر آلاف السنين.

ومن خلال تتبع التاريخ الذي يمتد من العصر الحجري الحديث وحتى نهاية سلالة تشينغ، ندرك بأن الغزال لم يكن فقط كائن بري للمطاردة أو الصيد، بل كان له دوراً أساسياً في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية للإمبراطورية. حيث جسد الأزدواجية الفريدة بين المادة والروح، ففي الجانب المادي تم استنزاف أجساد الغزلان

ليتم تقديمها قرابين دموية لأسلاف أسرة شانغ، وأيضاً تم استخدام جلودها ليصنع لها أزياء النبلاء وقبعاتهم الرسمية في عهد تشو.

وبالموازاة مع ذلك، شكلت قرونها المخملية "لو رونغ" عماد الطب الصيني التقليدي، كعلاج حصري ومكلف للطبقات الأرستقراطية و التي سعت لاحتكار الصحة وطول العمر. وفي الجانب الروحي، تسامى الغزال لكي يصبح أيقونة للسلام الداخلي والنقاء المطلق في الفلسفة الطاوية، حيث رافق آلهة الخلود وأرشد الحكماء إلى فطر اللينغتشى المقدس.

المصادر والمراجع

1. Eberhard, W. (1986). A dictionary of Chinese symbols: Hidden symbols in Chinese life and thought. Routledge.
2. Graham, A. C. (1981). Chuang-tzu: The inner chapters. Allen & Unwin.
3. Ivanhoe, P. J., & Van Norden, B. W. (2005). Readings in classical Chinese philosophy. Hackett Publishing.
4. Kohn, L. (2001). Daoism and Chinese culture. Three Pines Press.
5. Kohn, L. (2014). Zhuangzi: Text and context. Three Pines Press.
6. Lewis, M. E. (1990). Sanctioned violence in early China. State University of New York Press.
7. Mair, V. H. (1994). Wandering on the way: Early Taoist tales and parables of Chuang Tzu. Bantam Books.
8. Michaelson, C. (1999). Gilded dragons: Buried treasures from China's golden ages. British Museum Press.
9. Moeller, H. G. (2004). Daoism explained: From the dream of the butterfly to the fishnet allegory. Open Court.
10. Schafer, E. H. (1963). The golden peaches of Samarkand: A study of T'ang exotics. University of California Press.
11. Sterckx, R. (2002). The animal and the daemon in early China. State University of New York Press.
12. Unschuld, P. U. (1986). Medicine in China: A history of pharmaceuticals. University of California Press.
13. Watson, B. (1968). The complete works of Chuang Tzu. Columbia University Press.

14. Wu, K. M. (1990). The butterfly as companion: Meditations on the first three chapters of the Chuang Tzu. SUNY Press.
15. Ziporyn, B. (2009). Zhuangzi: The essential writings. Hackett Publishing.
16. Sterckx, R. (2002). The Animal and the Daemon in Early China. State University of New York Press.
17. Eberhard, W. (1986). A Dictionary of Chinese Symbols: Hidden Symbols in Chinese Life and Thought. Routledge.